

[Type text]

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي

الدكتور حسين شمس آبادي

استاذ مشارك بجامعة «تربيت معلم» بسبزووار

و

مهدي شاهرخ

(از ص ٧٣ تا ١٠٠)

الخلاصة :

نزار قباني شاعر كبير بين الشعراء المعاصرين الذي اشتهر بشعر المرأة و شعره السياسي. أما شعره السياسي فعليه بعض السمات الخاصة القريبة من الأدب الواقعي و التي شجعت المؤلفين على كتابة مقالة تبحث هذا الموضوع فتهدف هذه المقالة أن تظهر الواقعية الأدبية في شعر نزار قباني السياسي و تثبته مستخدماً سمات هذا المكتب الأدبي الفنية فيذكرها المؤلفان واحداً واحداً و يؤتيان بنماذج من شعر نزار السياسي تؤكد نظرية المقالة في وجهة نظرها هذه.

كلمات مفاتيح: الأدب الواقعي ، نزار قباني ، الشعر السياسي.

المقدمة:

الاتجاه الواقعي في العالم العربي:

أعانت ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية في العالم العربي على إحداث تغيير في الخطّ الفكري الذي يسير فيه الأدب و أهمّ تلك الظروف إحساس الجماهير بحاجتها إلى نوع جديد من الحياة بعد معابيتها لأهوال الحرب التي اكنوت بها كلّ الشعوب سواء أكانت محاربة أو غير محاربة و تناولت هذه الرغبة في تغيير الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الفكرية على حدّ سواء و قد كان لالتقاء القوى الشيوعية مع القوى الرأسمالية في العالم العربي في تعاون كامل للوقوف أمام النازية و الفاشية أو الدكتاتورية العسكرية بصفة عامّة التي تريد فرض سيادتها على العالم عن طريق فلسفة نقاء الجنس و الاستعلاء على الشعوب ، أثر بالغ في تقبّل أعداد من الناس في كلّ مكان للفكر الاشتراكي باعتباره نافذة جديدة يطلّون منها على الحياة بعد أن كانت مغلقة في وجوههم و خاصة في العالم العربي الذي كان مجرد التلفّظ فيه بكلمة الشيوعية أو الاشتراكية جريمة كبرى تستحقّ أقسى العقاب بغضّ النظر عن طبيعة هذا الفكر المذهبي و تعارضه مع الفكر الإسلامي بل مع الطبيعة الانسانية.

كذلك أعطت الحرب العالمية الثانية للشعوب المغلوبة على أمرها أملاً جديداً في الاستقلال و التطلّع إلى الحرية بعيداً عن أطماع العالمين الشرقي و الغربي و كان ذلك هو السبيل الذي مهّد فيها بعد لقيام كتلة العالم الثالث فيما يسمّى بلغة السياسة للتعبير عن وجود اتّحاد من الدول التي نالت حريتها تباعاً منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية و التي تجنّبت الانضمام إلى أحد المعسكرين الرئيسيين في العالم حتى لا تصبح ذليلاً من جديد تحرّكه الدول الكبرى و من أجل ذلك كثرت الانتفاضات الثورية في العالم العربي محاولة الخلاص من ربقة الاستعمار و حدثت تحولات رئيسية فيه بتغيير بعض أنظمة الحكم و بوقوع مأساة فلسطين و بدأت ثمرات الفكر الاشتراكي تدخل بعض المجتمعات العربية لتتيح فرصة الموازنة بين هذا الفكر الاشتراكي الجديد و بين الفكر الغربي الذي عرفه العالم العربي منذ فترة طويلة كذلك تأثر العالم العربي بذلك الفيض الزاخر من المذاهب الادبية المختلفة التي زالت دواعي وجودها منذ زمن بعيد في أوروبا و لكن تأخر زوال تلك الدواعي في العالم

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي /75

العربي إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. و كان طبيعياً أن ينفر الجيل الجديد من الشعراء من الانكبات على القضايا الذاتية و التغنى بالعواطف الفردية الوجدانية و لم يقنعهم التجديد الجزئي الذي أحدثه الرومنسيون في بناء القصيدة العربية و في مضمونها و قد آمنوا بأن الشعر العربي لم يعد قادراً على تقديم مضمون جديد مع ارتباطه بالطرق التقليدية في الواقعية إلى التخلي عن الذاتية التي كانت لب الاتجاه الرومانسي و إحلال الموضوعية في الخلق الأدبي محلها كما دعت الشعراء إلى ملاحظة صور الأشياء الخارجة عن نطاق الذات و اختيار مادة تجاربهم من مشكلات عصرهم الاجتماعية.

إظهار ملامح الواقعية في شعر نزار السياسي:

١- الابتعاد عن الخيال و تصوير مشكلات الناس:

إن الواقعيين ابتعدوا عن التحلق في سماء الخيال و تركوا مثاليّة الأدب الكلاسيكي جانباً و ذهبوا بشعرهم داخل المجتمع والشارع و المقهى بين الناس و هذا الأمر يمكن فهمه عند نزار من خلال عناوين شعره السياسي حيث " خبز و حشيش و قمر " (قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص ١٣) و " قصّة راشيل شوارزنبرغ " في قضية فلسطين (نفسه، ص ٢٥) و " رسالة جندي في السويس "، (نفسه، ص ٣٩) و " جميلة بو حيرد " الاستشهادية الجزائرية (نفسه، ص ٤٩) و " الحبّ و البترول " الذي تكلم فيها عن النفط و مأساة الاستفادة السيئة منه في بلدان الخليج (نفسه، ص ٥٩) و " هوامش على دفتر النكسة "، (نفسه، ص ٦٩) " الممثلون "، (نفسه، ص ٩٩) " الاستجواب " (نفسه، ص ١٢١) " فتح " (نفسه، ص ١٣٧) و " شعراء الأرض المحتلة " (نفسه، ص ١٤٩) و " القدس " (نفسه، ص ١٥٩) و " منشورات فدائية على جدران اسرائيل " (نفسه، ص ١٦٥) ثمّ " عرس الخيول الفلسطينية " (نفسه، ص ١٩٩) " دعوة اصطيف للخامس من حزيران " (نفسه، ص ٢٠٧) " حوار مع أعرابي أضاع فرسه " (نفسه، ص ٢١٥) " جريمة شرف أمام المجهول " (نفسه، ص ٢٢٧) " طريق واحد " (نفسه، ص ٣٢٧) " لصوص المتاحف " (نفسه، ص ٣٣١) " تعريف غير كلاسيكي للوطن " (نفسه، ص ٣٣٥) " خطاب شخصي إلى شهر حزيران " (نفسه، ص ٣٣٩) و " جمال عبدالناصر " (نفسه، ص ٣٥٣) " الهرم الرابع " (نفسه، ص ٣٦٥) " رسالة إلى جمال عبدالناصر " (نفسه، ص ٣٧٣) " إفادة في محكمة الشعر " (نفسه، ص ٣٩١) " من مفكرة عاشق دمشق " (نفسه، ص ٤١٥) " ملاحظات في زمن الحبّ و

الحرب" (نفسه، ص ٤٤٥) "حوار ثوري مع طه حسين" (نفسه، ص ٤٦٩) "مواويل دمشقية إلى قمر بغداد" (نفسه، ص ٤٩٩) "مواويل دمشقية" (نفسه، ص ٥١٥) "مواويل بغدادية" (نفسه، ص ٥٩١) "مذكرات أندلسية" (نفسه، ص ٥٢٧) "أوراق إسبانية" (نفسه، ص ٥٤٣) "غرناطة" (نفسه، ص ٥٦٩) "يا ست الدنيا يا بيروت" (نفسه، ص ٥٧٥) "سبع رسائل ضائعة في بريد بيروت" (نفسه، ص ٥٩١) "بيروت محظيكم... بيروت حبيبتي" (نفسه، ص ٦٠٩) "إلى بيروت الأثني مع الاعتذار" (نفسه، ص ٦٢٣) "أنا يا صديقة متعب بعروبتى" (نفسه، ص ٦٢٩) وغيرها من الأسماء الواقعية.

هذا إذا نقوم بموازنة بين هذه الأسماء وأسماء دواوين الأدب الرومانسي. أو حتى نوازن بأسماء قصائد نزار الرومانسية والذاتية أي قصائده في شعر المرأة "أمية الشفقتين" (قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج ٢، ص ١٠٩) و"المقبرة البحرية" (نفسه، ص ١١٥) و"حوار مع امرأة من خشب" (نفسه، ص ٩٧) "الرسم بالكلمات" (قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج ١، ص ٤٦٤) "المجد للصفائر الطويلة" (نفسه، ص ٥٠٦) "أحمر الشفاه" (نفسه، ص ٢٤٥) "ثوب النوم الوردى" (نفسه، ص ٢٣٢) "مصلوبة النهدين" (نفسه، ص ١٧٢) "طائشة الضمائر" (نفسه، ص ١٦٥) "طفولة نهد" (نفسه، ص ٩٠) "مذعورة الفستان" (نفسه، ص ١٩) "زيتية العينين" (نفسه، ص ٤٢) "رافعة النهدي" (نفسه، ص ٦٧) و"نهداك" (نفسه، ص ٦٩) وغيرها من الأسماء التي تدل على ذاتية الشاعر ورومانسيته وبعده من آلام الناس ومشكلاتهم ثم التباعد عن المجتمع وانغزاله الذي من خصائص الأدب الرومانسي. أمّا هناك تجديد في المضمون عند أدباء الواقعية هو استمداد الموضوعات من واقع الشعب داخل المجتمع والالتفات بالوضع السياسي للبلاد العربية نرى هذه السمة أيضاً موجودة عند نزار حيث يحتل مفهوم العروبة ومسحه مع العرب وترسيم صورتهم في قصائد نزار "الحب والبترو" (قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص ٥٩) "أنا يا صديقة متعب بعروبتى" (نفسه، ص ٦٢٩) "من مفكرة عاشق دمشقي" (نفسه، ص ٤١٥) وصولاً إلى مأساة العصر التي نتجت عن هذا الفهم الأشوه لعروبة أضاعت فلسطين وقد سجلها في "قصة راشيل شوارزنبيرغ" (نفسه، ص ٢٥) "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" (نفسه، ص ١٦٥) "شعراء الأرض المحتلة" (نفسه، ص ١٤٩) "فتح" (نفسه، ص ١٣٧) "القدس" (نفسه، ص ١٥٩) "عرس الخيول الفلسطينية" (نفسه، ص ١٩٩) و"طريق واحد" (نفسه، ص ٣٢٥) و"برغم المأساة استمر الفكر السلطوي بعسفه يبرز في "الممثلون" (نفسه، ص ٩٩) "الاستجاب" (نفسه، ص ١٢١) "الوصية" (نفسه، ص ٢٤٧) "الخطاب" (نفسه، ص ٢٥٩) "مورفين" (نفسه،

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي /77

ص ٢٩٧) "الحاكم و العصفور" (نفسه، ص ٢٤١) "بانتظار غودو" (نفسه، ص ٢٧٩) "قراءة على أرضحة المجاذيب" (نفسه، ص ٣٠١) و "حوار مع ملك المغول". (نفسه، ص ٣١٣)

هذا الفكر يرسم للهزيمة طريقها إلى الإنسان العربي في: "خطاب شخصي إلى شهر حزيران" (نفسه، ص ٣٣٩) "دعوة اصطياف للخامس من حزيران" (نفسه، ص ٢٠٧) "حوار مع عربي أضع فرسه" (نفسه، ص ٢١٥) "هوامش على دفتر النكسة" (نفسه، ص ٦٩) "جريمة شرف أمام المحاكم العربيّة" (نفسه، ص ٢٢٧) "لصوص المتاحف" (نفسه، ص ٣٣١) "مرسوم بإقالة خالد بن الوليد" (نفسه، ص ٤٨٥) و "قصيدة اعتذار أبي تمام" (نفسه، ص ٣٤٣) على أنّ هذه الهزيمة لم تمنع مصر عبدالناصر من مجاهدة الواقع العربي لتجاوزه في كلّ أحواله إلى قضيّة حملتها مصر و عبدالناصر حتى ساعات الأخيرة من حياته في "إليه في يوم ميلاده" (نفسه، ص ٣٨١) "جمال عبدالناصر" (نفسه، ص ٣٥٣) "الهرم الرابع" (نفسه، ص ٣٦٥) رسالة إلى جمال عبدالناصر" (نفسه، ص ٣٧٣) و "حوار ثوري مع طه حسين". (نفسه، ص ٤٦٩)

و في مسار الوحدة كتب نزار: "مواويل دمشقيّة إلى قمر بغداد" (نفسه، ص ٤٩٩) "موال دمشقي" (نفسه، ص ٥١٥) "موال بغدادى" (نفسه، ص ٥٢١). هذه الوحدة التي رأى فيها الشاعر الطريق إلى النصر يرصده في "جميلة بو حيرد" (نفسه، ص ٤٩) "إلى الجندي العربي المجهول" (نفسه، ص ٣١٩) "ترصيع بالذهب على سيف دمشقي" (نفسه، ص ٤٢٧) و "ملاحظات في زمن الحبّ و الحرب" (نفسه، ص ٤٤٥) و لم يغب لبنان عن أوراق الشاعر فنزف في "بلقيس" كما لم ينزف من قبل يلون كلماته بلون دمه الذي نشمّه بين حروف القصيدة (قباني، قصيدة بلقيس، ص ١) ثمّ تكلم عن قضيّة جنوب لبنان في "سميتك الجنوب" و تكلم عن رفض محاولات السلام في "أريد بندقيّة" و غيرها من القصائد النضاليّة و تكلم عن قضيّة النفط و طريقيّة معاملة أبناء بلدان الخليج معه و إهدارهم هذه الثروة الإلهيّة ثمّ تكلم عن تخلف المجتمعات العربيّة و خمول الشعب وراء الوصول إلى التقدّم و الرقي ثمّ عن استبداد الحكام العرب و معاملتهم القاسيّة مع الشعب و عن استكانة الشعب و تسليمهم أمامهم ، تكلم عن أمريكا و غيرها من القوى الاستكباريّة و عن إسرائيل و القضّيّة الفلسطينيّة ثمّ تكلم عن وضع الأدب العربي و شعرائه ثقافياً و أشاد بشعراء الأرض المحتلة و موافقة أشعارهم مع مشكلات الشعب الفلسطيني و نضاليّة قصائدهم و ملائمتها مع حياة اليوم و غيرها من الموضوعات المطروحة في البدان العربيّة التي تعتبر مشكلة أو مصيبة عالقة أمام شعوبها.

هو الشاعر الذي يجب أن يقول ما يحسه صادقاً و يدافع عن الحقيقة حتى تظهر في يوم ما بمواجهة مدعى النقد و الحرص على الأدب و الفن و الشعر و الذي يعملون لصالح بعض السلطة بغاية كسب رخيص و هم في هذا أبعد ما يكونون عن الشعر و الشعراء:

«لأنَّ شِعْرِي كُلُّهُ / حَرْبٌ عَلَى الْمُغُولِ... وَ التَّارِ... وَ البرابرة / يَشْتُمُّنِي الأَقْرَامُ وَ السَّماسرةُ»
(قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص ٧)

و شاعر هذه سمته ليس كثيراً أن يشغله هم أمته في مجتمع صارت امرأته أمته و هو لا يريد أن تكون إلا الإنسان الذي ترتفع علاقات الناس بها إلى مستوى المحبة التي أتسم بها شعره بصدقه و نقائه المترفع عن السرقة و المتاجرة بالممنوعات بل الشعر الذي يسأل فيه عن مضمون إنساني يقرأ بعده لأنه صوت الإنسان من داخل هذا الفن و ليس حشيشاً فنياً يخذل عن القيم و الحقيقة و يسهم في سرقة القراء إلى الأحلام الواهية كسائر السراق و يقتل بالتالي الغاية من الشعر و يقتل مشاعر الناس فيكون في عدا بين الإنسان و المحبة و الشاعر محب صريح:

«أنا لم أتاجر مثلاً غيري بالحشيش.../ ولا سرقتُ ولا قتلتُ/ لكنني أحببتُ في وضح النهار/ فهل تراني قد كُفرتُ؟» (نفسه، ص ٩)

و على القاعدة هذه يطلق نزار "خبز و حشيش و قمر" يطرح الصوت على حال الخنوع و التراخي المستسلم للخرافة تجر الناس إلى طقسية يعيشونها حباً يجسد اضطهاد الخائف أن لا تصيبه بركة الوجه الآتي إذ اللون الأبيض هو اللالون و الموت مادام يمثل عند الشاعر الحياد و الاستلاب. كما تصادم مع نزار الثراء الحادث ينفجر مع آبار النفط العربي فنقف في مواجهة النعمة على أصحاب هذا الثراء الذين تتغرز فيهم المأساة إلى عمق نفوسهم التي يدخلها الموت يقتل كراماتهم و لا ينتهبون:

«تنامُ كأنَّما المأساة كَيْسَتْ بَعْضَ مَأْسَاتِكِ/ مَتَى تَفْهَمُ؟ مَتَى يَسْتَيْقِظُ الإنسانُ في ذاتِكِ» (نفسه، ص ٥٩)

و هكذا يستمد موضوعاته من واقع الشعب و مصائبهم إذ في "الحاكم و العصفور يتحدث نزار بلغة واضحة تلزم الكلمة، تلتصق بالعربي أساساً لكونه و باعتباره الإسناد المتبادل بين الأنا و الامتناع يقوم الترابط بين الخبز و الكلمة في لحمية تؤدي الغاية من الكتابة المستمرة بهذا الترابط و المنتهية بانتهائه. فالانطلاق من الأنا الشاعرة عنده يبرز إصراره على فعل الثقافة الشعرية في جمهور قرائها و توصل

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي /79

الشعر إلى الغاية الفضلى من وجوده و ترفعه عن أن يكون مجرد الأعيب ذ اتية ينسبها الشاعر لنفسه وحولها:

« أَتَجَوَّلُ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ / لِأَقْرَأُ شِعْرِي لِلْجُمْهُورِ / فَأَنَا مُقْتَنِعٌ / أَنَّ الشِّعْرَ رَغِيفٌ يُخْبِرُ لِلْجُمْهُورِ » (نفسه، صص ٢٤١ و ٢٤٦)

يتأذى الشاعر لحال الشعر و تحاول السلطة قمعه و كأنه غريب عن أبناء هذه الأرض و تطالب بما يعرف عنه في أسوأ ما يمكن أن تعامل به الكلمة في ظل مجمع الأوطان التي تدعيها هذه السلطة على حساب الوطن الواحد و على حساب الكلمة التي هي سمة هذا الشعب و قدره:

« يَرْمِينِي الْعَسْكَرُ لِلْعَسْكَرِ / وَ أَنَا لَا أَحْمِلُ فِي جَيْبِي إِلَّا عُصْفُورًا / لَكِنَّ الضَّابِطَ يُوقِفُنِي / وَ يُرِيدُ جَوَازًا لِلْعُصْفُورِ / تَحْتَاجُ الْكَلِمَةَ فِي وَطَنِي / لِجَوَازِ مُرُورِ » (نفسه)
لذلك تنطبق هذه السمة لواقعية على الشعر السياسي لنزار بحيث يدركها القارئ لشعره هذا بمجرد قراءة قصيدة واحدة منه.

٢- مؤازرة حركات التحرر السياسيّة و الاجتماعيّة :

ارتبط شعر هذه المدرسة بالواقع والتعبير عنه بوجوهه المختلفة من صدق و زيف و تقدّم و تخلف و فرح و يأس و غير ذلك من متناقضات الحياة كذا نراه يتكلم عن حركات النضال و ثورات التحرر ضدّ المستعمر الأجنبي في الجزائر و الثورة الجزائرية و عن فلسطين و عن الحركة القوميّة العربيّة فنراه هو مخالفاً لمفاوضات السلام في أوصلو والصلح مع الاسرائيليين:

« بَعْدَ هَذَا الْعَزَلِ السَّرِيِّ فِي أَوْسَلُو / خَرَجْنَا عَاقِرِينَ / وَ هَبْنَا وَطَنًا نَبْلَعُهُ مِنْ غَيْرِ مَاءٍ / كَحُبُوبِ أُسْبِرِينَ » (نقلًا عن: تاج الدين، ص ٧١)

فيرفض توقيع الصلح و معاهداته و يقف مع المقاومين الفلسطينيين في رفض هذا الوليد المشوه الذي ولدته معاهدات الصلح مع اسرائيل:

« لَيْسَ صُلْحًا / ذَلِكَ الصُّلْحُ الَّذِي أُدْخِلَ كَالْخَنَجَرِ فِينَا / إِنَّهُ فِعْلٌ اغْتِصَابٍ ... / لَنْ تُسَاوِيَ كُلَّ تَوْقِيعَاتِ أَوْسَلُو / خَرَدَلَهُ » (نفسه، ص ٧٢)

إذ يرى بأنّ هذا الصلح مؤامرة من قبل أمريكا و قُوى الاستكبار العالمي فنراه مخالفاً للاستعمار الجديد و مخالفاً للتدخل الأجنبي في الشأن الفلسطيني و العربي:

«تَزَوَّجْنَا بِلَا حُبٍّ / مِنَ الْأُنثَى الَّتِي ذَاتَ يَوْمٍ أَكَلَتْ / أَوْلَادَنَا / مَضَعَتْ أَكْبَادَنَا / وَأَخَذْنَا إِلَى شَهْرِ الْعَسَلِ / ... / لَمْ يَكُنْ فِي الْعُرْسِ رَقْصٌ عَرَبِيٌّ / أَوْ طَعَامٌ عَرَبِيٌّ / أَوْ غَنَاءٌ عَرَبِيٌّ / فَلَقَدْ غَابَ عَنِ الرَّقَّةِ أَوْلَادُ الْبَلَدِ / كَانَ نِصْفُ الْمَهْرِ بِالْدُولَارِ / كَانَ الْخَاتِمُ الْمَاسِيُّ بِالْدُولَارِ / ... / كُلُّهَا قَدْ صَنَعَتْ فِي أَمْرِيكَ / وَانْتَهَى الْعُرْسُ وَ لَمْ تَحْضُرْ / فِلَسْطِينُ الْفَرْحِ / ... / لَيْسَ هَذَا الْعُرْسُ عُرْسِي / لَيْسَ هَذَا الثُّوبُ ثُوبِي / لَيْسَ هَذَا الْعَارُ عَارِي / أَبَدًا يَا أَمْرِيكَ» (نفسه، صص ٧٣ و ٧٤)

فهو مع الحرية والحركات التحريرية الاجتماعية ويقول بأن مشكلة الشعب ليست الخبز والماء رغم أنه يعيش على الكفاف بل إن مشكلة التي يبحث عنها هي الحرية ولكن الحكام يعتقدون أن الشعوب عقولها في معدتها فيقول معبراً عنها:

«تَحَسُّسًا مِنْ مَلِكِ الْمُلُوكِ / بِحَاجَةِ الشَّعْبِ إِلَى الْعَدَالَةِ / وَالْخُبْزِ وَالنِّيَابِ / فَقَدْ رَسَمْنَا مَا يَلِي / يُطَلَّبُ مِنْ وَزَارَةِ التِّجَارَةِ / أَنْ تَمْنَعَ اسْتِيرَادَ أَيِّمَا كِتَابٍ / وَتُقِنَعَ التُّجَّارَ أَنْ يَسْتَوْرَدُوا النُّخَالَه» (قباني، الأعمال السياسية الكاملة، ص ٨٥)

ثم نرى مؤازرته الحركات الاجتماعية و السياسية في قصيدة "فتح" حيث يشتد بهذه الحركة الفلسطينية ونضالها ضد إسرائيل:

«بَعْدَ أَنْ جَعْنَا وَ أَنْ عَطِشْنَا / وَ بَعْدَ أَنْ تَبْنَا وَ أَنْ كَفَرْنَا... / وَ بَعْدَ مَا... / مِنْ يَأْسِنَا يَسِّنَا... / جَاءَتْ إِلَيْنَا فَتْحٌ / كَوْرَدَةٌ جَمِيلَةٌ طَالِعَةٌ مِنْ جُرْحٍ / كَنَبَعِ مَاءٍ بَارِدٍ يَرُوئِي صَحَارِي مِلْحٍ» (نفسه، ص ١٤٥)

ثم يشيد بحركة فتح و يقول:

«يَا فَتْحُ يَا شَاطِئِنَا مِنْ بَعْدِ مَا فُقِدْنَا... / يَا شَمْسَ نِصْفِ اللَّيْلِ لِاحْتِ... / ... / يَا فَتْحُ يَا حِصَانَنَا الْجَمِيلَا / يَحْمِلُ فِي عُرْتِهِ بَيْسَانَ وَ الْجِيَلَا / وَ غَزَاةً وَ الْقُدْسَ وَ الطُّيُورَ وَ الْحُقُولَ / ... / يَا فَتْحُ شَابَ الدَّمْعِ فِي عُيُونِنَا / وَ لَمْ يَزَلْ خَنْجَرُ إِسْرَائِيلَ فِي ظُهُورِنَا» (نفسه، صص ١٤٥-١٤٥)

ثم يقف مع المناضلين الفلسطينيين و يهجم على الإسرائيليين بقوله:

«لَأَنْتُمْ كَسْتُمْ كَأَمْرِيكَ / وَ لَسْنَا كَالهُنُودِ الْحُمُرِ / فَسَوْفَ تَهْلِكُونَ عَنْ آخِرِكُمْ / فَوْقَ صَحَارِي مِصْرٍ...» (نفسه، ص ١٧٠)

ثم يشتد قوله في حماية النضال والمناضلين الفلسطينيين:

«ظَلَّ الْفِلِسْطِينِي أَعْوَامًا عَلَى الْأَبْوَابِ / يَشْحَذُ خُبْرَ الْعَدْلِ مِنْ مَوَائِدِ الذُّبَابِ / وَ يَشْتَكِي عَذَابَهُ لِلخَالِقِ التَّوَابِ / وَ عِنْدَمَا / أُخْرِجَ مِنْ إِسْطَبِلِهِ حِصَانَهُ / وَ زَيَّتَ الْبَارُودَةَ الْمُلقَاةَ فِي السِّرْدَابِ / أَصْبَحَ فِي مَقْدُورِهِ / أَنْ يَبْدَأَ الْحِسَابِ» (نفسه، ص ١٩١)

و مؤازرته هذه لم تقف عند الحركات السياسية و الاجتماعية عية بل تقف مع

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي /81

الشعراء الذين بذلوا لسانهم و كلماتهم في سبيل الذود عن الوطن ويقول:
« شُعْرَاءَ الْأَرْضِ الْمَحْتَلَّةِ /... / يَا شَجَرَ الْوَرْدِ النَّابِتِ مِنْ أَحْشَاءِ الْجَمْرِ / يَا مَطَرًا يَسْقُطُ رُغْمَ
الظُّلْمِ وَ رُغْمَ الْفَهْرِ / نَتَعَلَّمُ مِنْكُمْ... /... / نَتَعَلَّمُ كَيْفَ يَكُونُ الشِّعْرُ / فَلَدَيْنَا قَدْ مَاتَ الشُّعْرَاءُ... وَ
مَاتَ الشِّعْرُ / الشِّعْرُ لَدَيْنَا ذَرْوِيشُ* / يَتَرَنِّحُ فِي حَلَقَاتِ الذِّكْرِ » (نفسه، صص ١٥٣-١٥٤)
و هكذا تبرز هذه السمة في أشعار نزار السياسية كلها و قد يرى القارئ هذه في
أرجاء دواوينه.

٣- نثرية الأسلوب:

قد قلنا سابقاً بأن الواقعيين يفضلون النثر على الشعر لأنه اللغة الطبيعية للناس و
شعرهم أيضاً يغلب عليه طابع النثرية كما في قصيدة "جميلة بوحيرد":
«الاسم: جَمِيلَةَ بُوحَيْرِد / رَقْمُ الزَّنَزِ ائنة: تَسْعُونَا / فِي السِّجْنِ الْحَرْبِيِّ بُوهِيرَانَ / وَ
العُمر: اثْنَانِ وَ عَشْرُونَ / عَيْنَانِ كَفَنَدِيلِي مَعْبَدٍ / وَ الشُّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْأَسْوَدُ / كَالصَّيْفِ كَشَلَالِ الْأَحْزَانِ
» (نفسه ، ص ٥٠)

حيث يتكلم في قصيدته على شاكلة النثر و القصّة كما يقول أيضاً:
«الاسم: جَمِيلَةَ بُوحَيْرِد / أَجْمَلُ أُغْنِيَّةٍ فِي الْمَغْرِبِ /... / أُنْعَبَتِ الشَّمْسُ وَ لَمْ تَتَّعِبْ / يَا رَبِّي
هَلْ تَحْتَ الْكَوْكَبِ / يُوجِدُ إِنْسَانَ / يَرْضَى أَنْ يَأْكُلَ... / أَنْ يَشْرِبَ / مِنْ لَحْمِ مُجَاهِدَةٍ تُصَلِّبُ
» (نفسه ، ص ٥٣)

كما في قصيدته "الخطاب":

« وَ فِلِسْطِينَ عَلَى الْأَرْضِ حَمَامَهْ / سَقَطَتْ تَحْتَ نَعَالِ الْمُخْبِرِينَ / كُنْتُ وَحْدِي / لَمْ يَزُرْنِي
أَحَدٌ فِي السِّجْنِ... /إِلَّا / جَبَلُ الْكِرْمَلِ وَ الْبَحْرُ وَ شَمْسُ النَّاصِرَهْ / كُنْتُ وَحْدِي... / وَ مَلُوكُ الشَّرْقِ
كَأَنَّا جُنْتًا / فَوْقَ مِيَاهِ الذَّاكِرَهْ... » (نفسه، ص ٢٧٣)

كما الحال في قصيدته "الهرم الرابع" التي قالتها عن جمال عبد الناصر:
« يَا مَنْ يَتَسَاءَلُ: أَيْنَ مَضَى عَبْدُ النَّاصِرِ ؟ » / يَا مَنْ يَتَسَاءَلُ: هَلْ يَأْتِي عَبْدُ النَّاصِرِ / السَّيِّدُ
مُوجُودٌ فِينَا... / مُوجُودٌ فِي أَرْغَفَةِ الْخُبْزِ / وَ فِي أَزْهَارِ أُوَانِينَا / مَرْسُومٌ فَوْقَ نُجُومِ الصَّيْفِ / وَ
فَوْقَ رِمَالِ شَوَاطِينَا... » (نفسه، ص ٣٧١)

ثم إذا نتقل إلى قصيدته "مذكرات أندلسية" نرى نثرية أسلوب في قوله الشعر
حيث يقول:

«الراقصة الإسبانية... / تقولُ بإصبعها كُلَّ شَيْءٍ / وَ الرَّقْصُ الإسْبَانِيُّ هُوَ الرَّقْصُ
الوَحِيدُ / الَّذِي يَسْتَحِيلُ فِيهِ الإِصْبَعُ إِلَى فَمٍ / النَّدَاءُ السَّاخِنُ وَالْمَوَاعِيدُ العَطَشَى / وَ الرِّضَى... وَ
العُضْبُ... وَ الشَّهْوَةُ... وَ التَّمَنَّى / كُلُّ هَذَا يُقَالُ بِشَهْقَةٍ إِصْبَعٌ... / بِنَقْرَةِ إِصْبَعٍ» (نفسه، ص ٥٣١)

و بديهي أن هذه الأمثلة كثيرة لا تُحصى في شعره هذا و تمثّلنا هذا على سبيل التمثيل طبعاً
لا على سبيل الحصر إذ لو أردنا قول الفصل فيه و التفصيل و التطويل ليطول الكلام و هذا الأمر
في الموضوع هذا و غيره ممّا نوردته في دراستنا في إظهار السمات الواقعية في شعره
هذا.

٤- الاهتمام برسم و إبراز النموذج البطولي:

و هذا في إطار التلاحم النضالي مع الجماهير و التصميم الإرادي و الصلابة و الوعي و
التضحية بحيث يصبح نمطه مثلاً للمناضلين يحبونه و يقتدون به و هذا كثير عند نزار من مثل
رسم بطولية "جميلة بوحيرد" المناضلة الجزائرية التي تكلم عنها في
قصيدة تحت هذا الاسم و رسمها كنموذج من امرأة مناضلة (نفسه، ص ٤٩) ثم هكذا في
جمال عبدالناصر كنموذج من سياسي شجاع وطني (نفسه، صص ٣٥٣ و ٣٥٣ إلى ٣٩٠) ثم في رسم صورة
الشاعر الفلسطيني كمال ناصر و كمال عدوان و إبي يوسف النجار و زوجته اللذين اغتيلوا في
منازلهم بشوارع فردان في بيروت في نيسان ١٩٧٣ م و تكلم عنها كنموذج من قادة
المقاومة في قصيدته "عرس الخيول الفلسطينية" (نفسه، ص ١٩٩) و كما نرى
نمذجته شعراء الأرض المحتلة كنموذج بطولي من شاعر مسئول وطني يبذل كلماته في
سبيل الذود عن الوطن و رسمهم في قصيدته شعراء الأرض المحتلة كنموذج لكل شاعر
معاصر مناضل (نفسه ص ١٤٩) و غيرها من الأمثلة التي توجد بكثرة في شعر نزار السياسي.

٥- حيادية المؤلف و رسالية الأديب:

إن نزار رجل و حدودي يقول بوحدة الشعوب العربية و رفض التفرقة، إنه ما
كان يسارياً أو يمينياً أو ماركسياً أو شيوعياً أو رأسمالياً أو سياسياً بل هو بعيد عن كل
الأنظمة السياسية رغم عمله في السلك الدبلوماسي السوري و هذا لا يتنافى مع
رسالية الأديب إذ قلنا بأن ميزات الواقعية أيضاً عدم الأكتفاء بالتصوير بل لا بد من
شغفه بالتحليل و استخلاص العوامل الفعالة في صياغة المستقبل التقدمي إذ تبرز

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي/83

رسالة الكاتب وإعلاء شأن الإرادة الإنسانية ونضالها العنيد ضمن الإطار الجماعي الطبقي لصنع المصير وفق المنطلق التاريخي حيث الكاتب لا يبقى شاهداً سلبياً بل يتدخل لتغليب الإيجابيات وتعزيز النضال، وهذا لا ينافي حيادية المؤلف وهذا لا يمتنع طبعاً أن يقف الشاعر والكاتب بجانب قضية ولكن يجب أن تكون هذه الحماية عن طريق العزل السيكولوجية. ولونريد أن نعطي بأمثلة من شعر نزار على سبيل المثال يمكن أن نذكر:

«وَفَقَدْتُ يَا وَطَنِي الْبِكَارَةَ/ لَمْ يَكْتَرِثْ أَحَدٌ/ وَسَجَلَتْ الْجَرِيْمَةَ ضِدَّ مَجْهُولٍ/ وَ
أَرْخَيْتِ السِتَارَةَ.../ نَسِيتِ قِبَائِلَنَا أَظْفَرَهَا/ تَشَابَهَتْ الْأَنْثُوَّةَ وَالذُّكُورَةَ فِي وَظَائِفِهَا/ تَحَوَّلَتْ
الْخَيُْولُ إِلَى حَجَارَةٍ.../ لَمْ تَبْقِ لِلْأَمْوَالِ فَائِدَةٌ... وَلَا لِلْقَتْلِ فَائِدَةٌ / فَإِنَّ اللَّحْمَ قَدْ فَقَدَ الْإِثَارَةَ...
» (نفسه، ص ٢٢٩)

كما هو معلوم هو أيد نظرية خاصة ولكنة بطريقة شعر إلى الحياد كما في :
« فِي بِلَادِي... / حَيْثُ يَحْيَا النَّاسُ مِنْ دُونَ عُيُونٍ / حَيْثُ يَبْكِي السَّادِجُونَ / وَيَصَلُّونَ... / وَ
يَزْنُونَ... / وَيَحْيُونَ أَتْكَالَ... / مُنْذُ أَنْ كَانُوا / يَعِيشُونَ أَتْكَالَ... » (نفسه، ص ٢١)
أما عن رسالية الأديب فنراها عند نزار حيث ينتقد الشعراء المشاركين في المهرجات
الأدبية العربية واستسلامهم أمام تقليد التراث الأعمى فيقول:
« شِعْرُنَا الْيَوْمَ هَجْمَةٌ وَ اكْتِشَافٌ / لَا خُطُوطٌ كُوفِيَّةٌ وَ خُدَاءٌ... / كُلُّ شِعْرٍ مُعَاصِرٌ... لَيْسَ فِيهِ /
غَضَبُ الْعَصْرِ نَمْلَةٌ عَرَجَاءُ / مَا هُوَ الشِّعْرُ؟ إِنْ غَدَا بَهْلَوَانًا / يَتَسَلَّى بِرَقِصَةِ الْخُلَفَاءِ / مَا هُوَ
الشِّعْرُ؟ حِينَ يُصْبِحُ فَارًّا / كِسْرَةَ الْخُبْزِ هُمُّهُ وَ الْغَدَاءُ » (نفسه، ص ٤١)
كما هو معلوم هو أيد نظريته وأدى رساليته ولكن بشكل يتعد المباشرة بل يشير إليها
كناية على سبيل الخفاء وهذا السمة شائع في أكثر أشعاره وإن خرج عنها في بعض
الأحيان عند ما يغضب في "هوامش على دفتر النكسة" مثلاً.

٦- الاعتقاد بالنضال المسلح ومقاومة الاستعمار:

تشغل قضايا الوطن العربي مكاناً خاصاً في الشعر الواقعي وقد تستحوذ قضية الشعب الفلسطيني على قدر كبير من اهتمام الشعراء الواقعيين فيعتبر أكثر هؤلاء الشعراء عن موقفهم تجاه محنة الشعب الفلسطيني ومن كفاحه لاسترداد حقه المغتصب ورفض محاولات السلام وعمليات السلام في أوصلو ثم يمتد شعر هؤلاء إلى المقاومة في جنوب لبنان وقد تجلى

هذا في قصيدة " سميتك الجنوب " لنزار ثم الوقوف مع الشعب العراقي في محنه المتواليه وسواهما من الشعوب العربيه الأخرى و نرى هذه الأمور بكثرة عند نزار أمّا عن قضية النضال المسلح و مقاتلة الاستعمار الأجنبي نورد بعض الأمثلة من شعره على سبيل المثال:

«أريدُ بُنْدُقِيَّه.../ خَاتِمِ أُمِّي بَعْتُهُ/ مِنْ أَجْلِ بُنْدُقِيَّه/ مَحْفَظَتِي رَهْتُهُ/ دَفَاتِرِي رَهْتُهُ/ مِنْ أَجْلِ بُنْدُقِيَّه» (نفسه، ص ٣٢٧)

إذ يعتقد بأن كل شى عنده لايساوى درهماً أمام بندقية هي رمز للكفاح المسلح ثم يقف جنباً إلى جنب المناضلين المسلحين ضد الاحتلال:

«أَصْبَحَ عِنْدِي الْآنَ بُنْدُقِيَّه / أَصْبَحْتُ فِي قَائِمَةِ الثُّورِ / أَفْتَرِشُ الْأَشْوَاكَ وَالْغُبَارَ / وَالْبَسْمُ الْمَيْتَهُ / مَشِيئَةُ الْأَقْدَارِ لَا تَرُدُّنِي / أَنَا الَّذِي أُغَيِّرُ الْأَقْدَارَ» (نفسه، ص ٣٢٦)

ثم يرفض محاولات السلام صريحاً و يقول:

«يَا أَيُّهَا الثُّور.../ فِي الْقُدْسِ ، فِي الْخَلِيلِ ، فِي بيسانَ ، فِي الْأَغْوَارِ / فِي بَيْتِ لَحْمٍ... / حَيْثُ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْأَحْرَارُ.../ تَقَدَّمُوا... / تَقَدَّمُوا... / فَكَيْفَ السَّلَامِ مَسْرَحِيَّه / وَالْعَدْلُ مَسْرَحِيَّه / إِلَى فِلَسْطِينَ طَرِيقٌ وَاحِدٌ / يَمُرُّ مِنْ فَوْهَةِ بُنْدُقِيَّه...» (نفسه، ص ٣٣٠)

ثم يرفض الاستيطان اليهودي في الأرض المحتلة و يقارن بين هذه العمليّة و عمليّة رعاة البقر في معاملتهم أمام الهنود الحمر في أمريكا:

«لَنْ تَجْعَلُوا مِنْ شَعْبِنَا / شَعْبَ هُنُودِ حُمُرٍ / فَنَحْنُ بِأَقْوَنَ هُنَا» (نفسه، ص ١٦٧)

ثم يصرح في كلامه هذا و يرفض أن يكون العرب الفلسطينيين شعب هنود حمر: «لأنكم لستم كأمریکا / ولسنا كالهنود الحمر / فسوف تهلكون عن آخركم / فوق صحارى مصر...» (نفسه، ص ١٧٠)

ثم يرفض لامبالية العرب تجاه المصائب في فلسطين و عدم التفاتهم لأعمال المحتلين و المستعمرين:

«يَأْتِي حُزَيْرَانٌ وَ يَذْهَبُ.../ وَ الْفَرْزَدَقُ يُغْرِزُ السِّكِّينَ فِي رِئْتِي جَرِير.../ وَ الْعَالَمُ الْعَرَبِي شَطْرَنَجٌ... / وَ أَحْجَارٌ مُبَعَثَةٌ... / وَ أَوْرَاقٌ تُطَيَّرُ... / وَ الْخَيْلُ عَطَشَى... وَ الْقَبَائِلُ تُسْتَجَارُ وَ لَا تُجِيرُ... / النَّاطِقُ الرَّسْمِيُّ يُعْلِنُ أَنَّهُ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى / وَ خَمْسَ دَقَائِقَ شَرَبَ الْيَهُودُ الشَّايَ فِي بَيْرُوتَ / وَ ارْتَاخُوا قَلِيلاً فِي فَنَادِقِهَا وَ عَادُوا سَالِمِينَ» (نفسه، ص ٢٣٥)

ثم يشتد في كلامه و يكثر من لذاعة لسانه من هذه القضية:

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي /85

«النَّاطِقُ الرَّسَمِيُّ يُعَلِّقُ فِي بَلَاغٍ لَاحِقٍ: / أُنَّ الْيَهُودَ تَزَوَّجُوا زَوْجَاتِنَا... / وَ مَضُوا بِهِنَّ... فَبِالرِّفَاهِ وَ بِالْبَيْنِ...» (نفسه، ص ٢٣٧)

٧- السخرية:

نرى في شعر شعراء هذا الاتجاه اللجوء إلى السخرية من بعض المظاهر الدينية و السياسية في العالم العربي فكذلك نزار الذي يشبه شعره الصورة الكاريكاتيرية للقضايا التي يبرزها في صورة سخرية لتضخم الأخطاء حتى تلتفت العيون ليكون هذا الأمر سبيلاً إلى الحل:

«أَوْقُفُونِي... / وَ أَنَا أَضْحَكُ كَالْمَجْنُونِ وَ حِدِي / مِنْ خِطَابِ كَانَ يَلْقِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ... / سَأَلُونِي / وَ أَنَا فِي عُرْفَةِ التَّحْقِيقِ عَمَّنْ حَرَّضُونِي / فَضَحِكْتِ... / وَ عَنِ الْمَالِ... وَ عَمَّنْ مَوْلُونِي... / فَضَحِكْتِ» (نفسه، ص ٢٦٣)

ثم يواصل تصويره الكاريكاتيري و يقول:

« قَالَ عَنِّي الْمُدَّعِي الْعَام... / وَ قَالَ الْجُنْدُ حِينَ اعْتَقَلُونِي / إِنِّي ضِدُّ الْحُكُومَةِ... / لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّ الضَّحِكَ... / يَحْتَاجُ لِتَرْخِيصِ الْحُكُومَةِ... / وَ رُسُومٍ... وَ طَوَابِعٍ... / لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ شَيْئًا... / عَنِ غَسْبِ الْمُخ... / أَوْ فُرْمِ الْأَصَابِعِ... / فِي بِلَادِي / مُمَكِّنٌ أَنْ يَكْتَسِبَ الْإِنْسَانُ ضِدًّا لِلَّهِ... / لَا ضِدَّ الْحُكُومَةِ...» (نفسه، ص ٢٦٣)

فيصل إلى ذورة سخريته هذه من الوضع المأساوي من عنف الفكر السلطوي و ضيق مدى الحرية كذلك حين يتكلم عن اليهود المحتلين و لا مبالية العرب تجاه أعمالهم اللاإنسانية:

«مَا زَالَ يَكْتُبُ شِعْرَهُ الْعُذْرَى قَيْسُ* / وَ الْيَهُودُ تَسْرَبُوا لِفَرَّاشِ لَيْلِي الْعَامِرِيَّةِ / حَتَّى كَلَّابُ الْحَيِّ لَمْ تَنْبَحْ... / وَ لَمْ تُطَلِّقْ عَلَيَّ الزَّانِي رِصَاةَ بُنْدُقِيَّةٍ / لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ / وَ نَحْنُ ضَاجِعْنَا الْغُرَاةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ... / وَ ضَيَّعْنَا الْعِفَافَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ / وَ شَيَّعْنَا الْمُرُوءَةَ بِالْمَرَّاسِمِ وَ الطُّقُوسِ الْعَسْكَرِيَّةِ / لَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ» (نفسه، ص ٢٣١)

و هكذا يكثر نزار من سخرية وضع العرب و شعبهم و حملهم و حكاهم و استبدادهم و جهلهم في أشعاره كلها خاصة في قصيدته "الهوامش" و "خبز وحشيش و قمر".

٨- استعمال الكلمات الأجنبية أو العامية:

رأينا بأن أحد خصائص الشعر الواقعي هو الإكثار من استخدام الكلمات العامية أو الأجنبية في محاولة للتخلص من سيطرة الكلمات الكلاسيكية أو المعجمية للاقترب من لغة المواطن العادي. فنرى هذه الخصوصية في كثير من شعر نزار هذا فنورد بعض الأشعار على سبيل المثال:

«عُيُونُ مُورِينَا رُوسَالِينَا / تَرشِنِي بِالشُّوقِ الأَسْوَدِ / عُيُونُ مُورِينَا رُوسَالِينَا... دَوَاةَ سَوْدَاءِ... /
شَعْرُ مِيرَانْدَا الأَفِيدِرَا الكَثِيفُ / المَتَنَفَسُ كَغَابَةِ إِفْرِيقِيَّةِ / وَيَتْرُكُ الخَزَانَةَ
الرُّجَابِيَّةَ... / فِي المَتَحَفِ الحَرْبِيِّ / لِيَمشِي مَعِي فِي بُولْفَارِ الكَلَّاسْتِينَا فِي مَدْرِيدِ / ...
/ نَعَمَ هَذَا يَحْدُثُ فِي التَّارِيخِ / إِنَّ اسْمَهَا الآنَ أَصْبَحَ نُورَالِ أَمَارُو / بَدَلًا مِنْ نُورَابِنْتِ عَمَّارِ / ... /
الْقُرْطُ الطَّوِيلُ / فِي أُذُنِ أَنَالِيزَا دُونَالِيَا / دَمَعَهُ تَرَكَّتِ الأُذُنَ مُنْذُ قُرُونٍ » (نفسه، صص ٥٤٠-٥٢٧)

ثم نرى هذه الكلمات الأجنبية في قصائد أخرى نحو:

« تَمَرَّقَنِي دُونِيَا مَارِيَهَ / بَعِينِينَ أَوْسَعُ مِنْ بَادِيَهَ » (نفسه، ص ٥٥١) و: « كُورِيدَا... / كُورِيدَا... /
وَيَنْدَفِعُ الثَّورُ نَحْوَ الرِّدَاءِ » (نفسه، ص ٥٥٥) و: « فَلَامِنْكُو... / فَلَامِنْكُو... / وَتَسْتَيْقِظُ الحَانَةَ
الغَايِيَهَ » (نفسه، ص ٥٥)

أما استخدام المفردات العامية السوقية فنراه بين أشعار نزار:

«سَرَقُوا مَنقُوشَةَ الزَّعْتَرِ مِنْ يَدِينَا / سَرَقُوا الكُورُنِيشَ وَ الأَصْدَافَ / وَ الرَّمْلَ الَّذِي كَانَ
يُعْطِي جَسَدَنَا ... / يَا رَقِيقَةً: جَاءَنِي هَاتِفُكَ اليَوْمَ خَجُولًا مِثْلَ عِطْرِ البُرْتُقَالِ » (نفسه، صص
٥٩٨-٥٩٩)

ثم المفردات الأجنبية والعامية التي ما رأيناها من قبل في مفردات الأشعار:

«وَ حَجَزْنَا الشُّقَّ الفَخْمَةَ فِي حَيِّ الإِلِيزِيَهَ وَ فِي / مَايْفِير لَنْدَن... / وَ عَسَلْنَا الحُزْنَ
بِالخَمْرَةِ وَ الجِنْسِ وَقَاعَاتِ القُمَارِ / وَ تَدَكَّرْنَا عَلَيَّ مَائِدَةَ الرُّولِيَتِ - أُخْبَارَ الدِّيَارِ / وَ افْتَقَدْنَا
زَمَنَ الدَّفْلِيِّ بِلَبْنَانَ / وَ عَصَرَ الجُلُنَار... / وَ بَكِينَا مِثْلَمَا تَبْكِي النِّسَاءُ » (نفسه، ص ٦١٢)

وهكذا ينتشر المفردات العامية والأجنبية في سائر أشعار نزار السياسية فانصرفنا عن المزيد لكفاية ما ذكرت على سبيل المثال وما صرفنا عنه مثل " دولتشي فيتا و ماو والمالبرو " وغيرها. (نفسه، ص ٢٠٦)

٩- التمرد و الرفض:

إن التمرد و الرفض من سمات الأدب الواقعي فنورد بعض الأشعار على سبيل المثال هنا يقول

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي / 87

معلقاً على أول أعماله السياسية:

«لأني لا أمسحُ الغبارَ عنَ أحذية القياصيرَه/ لأني أقاومُ الطاغونَ في مدينتي المُحصَرَه/
لأنَّ شعري كُلُه/ حربٌ على المَغوَل... وَ التتار... وَ البرابره/ يَشتمُّني الأقرامُ وَ السَّماسيرَه» (نفسه،
ص ٧)

و نرى هذا التمرد و الرفض في ذورة انفعاله في "هوامش على دفتر النكسة":

«إذا خسرنا الحرب، لا غرابة / لأننا ندخلها / بكل ما يملكه الشرقي من مواهب الخطابه
/ بالعتريات التي ما قتلت ذبابه / لأننا ندخلها / بمنطق الطبله و الربابه /.. / السر في مأساتنا /
صراخنا أضخم من أصواتنا / و سيفنا... / أطول من قاماتنا... / خلاصة القضية / توجز في
عبارة / لقد لبسنا قشرة الحضارة / و الروح جاهليه » (نفسه، ص ٧٥ و ٧٦ و ٧٧)

ثم نرى هذا الرفض في كلامه اللاذع الذي يرفض الواقع المأساوي للعالم العربي و شعوبه:

«نركض في الشوارع / نحمل تحت إبطنا الجبالا / نمارس السحل بلا تبصر / نحطم الزجاج و
الأفغالا / نمدح كالضفادع / نجعل من أقرامنا أبطالاً /.. / نقعد في الجوامع / تنابلاً كسالي / نشطر
الآيات أو نؤلف الأمثالا / و نشجد النصر على عدوتنا / من عنده تعالى... » (نفسه، ص ٨٨ و ٨٩)

فلذلك يتتابه غضب شديد منقطع النظير و يريد من كل شيء أن يكون غاضباً:

«ترفض أن نظل مسطولين... دائخين / يا شعرنا كُن غاضباً... / يا نثرنا كُن غاضباً... / يا عقلنا
كُن غاضباً... / فعصرنا الذي نعيش عصر غاضبين / يا حقدنا... كُن حارقاً / كى لا نصير كلنا
قطيع لاجئين... » (نفسه، ص ١٤٨)

و يشتد غضبه هذا حتى يصل إلى الغضب على كل شيء حتى الهمزة التي هي من الحروف
الأبجدية:

«لو أعطى السلطة في وطني / لقطعت نهار الجمعة أسنان الخطباء / و قطعت
أصابع من صبغوا بالكلمة أحذية الخلفاء... / و جلدت جميع المتفيعين بدينار... / أو
صحن حساء... / و جلدت الهمزة في لغتي / و جلدت الباء » (نفسه، ص ٢٢١)

ثم يرفض أبناء الخليج الذين دوماً يهدرون النفط و بدلاً أن يصرفونه في إعلاء الشأن العربي
يهدرونه في سبيل ملذاتهم:

«تمرغ يا أمير النفط... / فوق و حول لذاتك / كم مسحة... / تمرغ في ضلالتك / لك
البتروئل، فأعصيره / على قدمي خلياتك / كهوف الليل في باريس قد قتلت مروءاتك... / على
أقدام مومسة هناك... / ذفنت ناراتك... / فبعث القدس... / بعث الله / بعث رماد أمواتك /

كأن حراب إسرائيل لم تجهض شقيقاتك / و لم تهديم منازلنا... « (نفسه، صص ٦٦ و ٦٧)

ثم يأخذ عليهم هذا الغرور الكاذب الذي هو موجود عند أبناء الخليج و إهدار الأموال لسبيل الأشياء التي لا فائدة لها و تخلف مجتمعهم و فكرهم و طريقة معاملتهم في العيش على لسان نسائي:

«متى تفهم؟ / بانك لن تُخدري... / بجاهك أو إمارتك / و لن تتملك الدنيا... / بنفطك ... و امتيازاتك / و بالعروبَات تطرحها على قدمي عشيقاتك / بلا عددٍ فأين ظهورُ ناقاتك؟... / أيا مُتَشَقِّقِ القَدَمِينَ... يا عبد انفعالاتك / و يا من صارت الزوجات بعضاً من هواياتك / تكدسهن بالعشرات فوق فراش لذاتك / تُحنطنهن كالحشرات... / في جدران صالاتك... / متى تفهم؟» (نفسه، صص ٦٣ و ٦٤)

ثم يهاجم على التقاليد البالية في المجتمعات الشرقية و هذا بإسم أبيه و المصلح الثوري هو نزار:

«أفتح صندوق أبي... / أمزق الوصية / أبيع في المزاد ما ورثته: / مجموعة المسايح العاجية / طربوشه التركي و السماور العتيق و الشمسيه / أسحب سيفي غاضباً / و أقطع الرؤوس و المفاصيل المرخيه / و أهدم الشرق على أصحابه / تكيّة... تكيّة... « (نفسه، ص ٢٤٩)

ثم يصرح برفضه هذا بلهجة غاضبة ثورية لا تعرف أي شيء سوى الغضب و الرفض:

«أرفض ميراث أبي / و أرفض الثوب الذي ألبسني / و أرفض العلم الذي علمني / و كل ما أورتني من غفد جنسيه / أرفض ألف ليلة... / و القمقم العجيب و المارد و السجادة السجريه / أرفض سيف الدولة المغرور... و القصائد الدليلية الغيبه / أحرق رسم أسرتي... أحرق أبجديتي...» (نفسه، ص ٢٥٢)

ثم يأخذ على الحكام الغارقين في الملذات البعيدين عن قضايا الأمة و مصائبها و على قعودهم من الجهاد:

«أدخل مثل البرق من نافذة الخليفة... / أراه لايزال مثلما تركته / منذ قرون سبعة / مضاجعاً جارية روميه / أقرأ آيات من القرآن فوق رأسه / مكثوبة بأحرف كوفيه / عن الجهاد في سبيل الله و الرسول / و الشريعة الحنيفة... / أقول في سريري: / تبارك الجهاد في النحور... / و الأتداء... / و المعاصم الطرية... « (نفسه، صص ٢٥٤-٢٥٣)

هذا كان بالنسبة إلى خمول الحكام أمًا بالنسبة إلى خمول الشعب العربي و

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي 89

تخلّف مجتمعاتهم و عن قعودهم نحو الرقى و التنمية يقول:
«حين يصير الحرف في مدينة / حشيشة يمنعها القانون / و يصبح التفكير / كالبغاء... /
و اللواط... / و الأفيون... / جرّيمة يطأها القانون / حين يصير الناس في مدينة / صفادعاً
مفقودة العيون / فلا يتورون و لا يشكون... / يصبح الإنسان في موطنه / أذلّ من صرصار...»
(نفسه، صص ١٠٤-١٠٣)

و هكذا يرفض خموم العالم العربي شعباً و حكّاماً و لا يبقى رفضه عند هذا الحد بل يتسرى
ليشتمل الشعراء و المثقفين القاعدين عن العمل الدؤوب و المقاومة:
«نرفض الشعراء كيمياء و سحراً / قتلنا القصيدة الكيمياء / نرفض الشعراء مسرّحاً ملكياً / من
كراسيه يحرم البسطاء / نرفض الشعراء أن يكون حصاناً / يمتطيهِ الطغاة و الأقوياء... / نرفض
الشعر أرنباً خشبياً / لا طموح له و لا أهواء / نرفض العاطلين في قهوة الشعر... / دخان أيّاهم
و ارتخاء» (نفسه، صص ٣٩٩ و ٤٠٠)

و إذا فرزنا كلّ شواهد الرفض يجب أن نورد كلّ أعماله السياسيّة فلذلك نكفي لهذا
القدر من الشواهد الدّالة على رفضه و غضبه.

١٠- مادّيته و رفض الغيبيات و الماورائيات:

إنّ الواقعيّة تنطلق من الواقع المادّي من خلال فهم عميق لبنية المجتمع و
العوامل الفعّالة فيه و الصراعات التي ستفضي إلى التغيير منبوذاً كلّ الماورائيات و الأمور
المتافيزيقيّة جانباً لأنها ليست واقع حسي يلمسه الإنسان كما يلمس حرارة
الشمس و مرارة الفقر و ضيق الحرّيّة و ظلم الحكّام و غيرها من الأمور الحسيّة فنراه
يرفض الدراويش في القيام بأعمالهم الطقوسيّة:

«وطّني / يفهمك السّدج ريحاناً و راح / و يظنونك درويشاً يهزّ الرأس... / أو رقص سماع... /
و يظنونك في غفلتهم / نعمة من بزق... / و قناتي عرق... / و مواويل تُعنى للصباح» (نفسه،
ص ٣٣٥)

ثمّ يشتدّ في كلامه و يقول بكلام ليس بصديد:

«كُنْ يَا خُزَيْرَانُ انفجاراً... / في جمّاجمنا القديمه... / أطلق على الماضي الرصاص... / كُنْ
المُسَدّس... / و الجريمه... / من بعد موت الله مشنوقاً... / على باب المدينه... / كم تبقى للصلوات
قيمه... / كم يبقى للإيمان... أو للكفر قيمه» (نفسه، ص ٣٣٩)

ثمّ بدل هذه الأمور الميتافيزيقية يحاول أن يستمد موضوعاته من الواقع السياسي و الاجتماعي و المعيشي الذي كثيراً ما تكلمنا عنه كما في قصيدته " عرس الخيول الفلسطينية " التي قالها في رفض اغتيال القادة الفلسطينيين في بيروت في نيسان ١٩٧٣ الذي اغتيل في هذه الحادثة كمال ناصر و كمال عدوان و أبو يوسف النجار و زوجته فيقول:

«بشارع فردان كانت تموت الخيول الجميلة / بصمت... / و تختار ميتتها النادرة /... / صديقي كمال / صديق الدفاتر... و الجبر... و الكلمات الجديدة / أكل الرصاص الذي أطلقوه عليك ؟ / لقتل القصيدة» (نفسه، ص ٢٠١ و ٢٠٤)

١١- بساطة الكلمات:

قلنا بأن من ميزات الأدب الواقعي غلبة نثرية الأسلوب على شعرهم و أتينا بنماذج من شعر نزار يؤكد تطابق هذه الخصوصية معه بيد أن سوى نثرية الأسلوب هناك ميزة جديدة غير استعمال الكلمات العامية و هي بساطة الكلمات إذ يتعد الشاعر من استعمال الكلمات الصعبة و الغامضة و يستعمل مفردات بسيطة تُسمى المفردات الأمّ هذه الميزة متفشية في أشعار نزار السياسي و النسائي فلذلك لا نورد أمثلة لهذا الأمر بل كلّ الأمثلة التي ذكرناها يمكن أن تكون مثلاً لهذا القسم و الذين يطلبون المزيد بإمكانهم الرجوع إلى قصائد "رسالة جندي من جبهة السويس" (نفسه، ص ٣٩) و "سبع رسائل ضائعة في بريد بيروت" (نفسه، ص ٥٩١) و "الممثلون" (نفسه، ص ٩٩) و مرسوم بإقالة خالد بن الوليد" (نفسه، ص ٤٨٥) و "بيروت محظيكم بيروت حبيبتي". (نفسه، ص ٦٠٩)

١٢- التشييد بشعراء الأرض المحتلة :

قلنا بأن أصحاب الواقعية في البلاد العربية يجيدون الكلام في شعراء الأرض المحتلة باعتبارهم أنموذجاً يحتذى بها في الالتفات بواقع الأمة و مصائبها و مشكلات الشعب الفلسطيني فنرى نزار يشيد بشعراء الأرض المحتلة حيث يجعل هذا الاسم على قصيدة يتكلم فيها عنهم:

«شعراء الأرض المحتلة / يا من أوراق دفاتركم / بالدمع مغمسة و الطين / يا من نبرات حناجركم / تشبه حشجة المشنوقين /... / نتعلم منكم / كيف الحرف يكون له شكل السكين» (نفسه، ص ١٥١ و ١٥٢)

ثمّ يغضب من لا مبالية الشعراء العرب و عدم اتباعهم من الشعراء الفلسطينيين:

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي/91

«شُعراء الأرض المُحتلَّة / مَاعَادَ لِأَعْصَابِي أُعْصَابُ / حُرُمَاتُ الْقُدْسِ قَدْ انْتَهَكْتَ / وَ صَلاَحُ الدِّينِ مِنَ الْأَسْلَابِ... / وَ نُسَمِّي أَنْفُسَنَا كُتَّابَ ؟؟» (نفسه، ص ١٥٧)

ثم يذكر إسم بعض هؤلاء الشعراء المناضلين بسلاح الكلمة و يحييهم:

«مَحْمُودَ ذَرُوشِ... سَلاماً / تَوفيقَ الزَيَّادِ... سَلاماً / يا فَدوى طُوقان... سَلاماً / يا مَنْ تَبَرُّونَ عَلى الأَوضاعِ الأَفلاما / نَتَعَلَّمُ مِنْكُمْ / كَيفَ نُفَجِّرُ في الكَلِماتِ الأَلاما» (نفسه، ص ١٥٨)

ثم يذكر الشاعر المناضل الفلسطيني الشهيد الذي اغتيل في بيروت "كمال ناصر" و يقول:

«صِدِيقِي كَمال: / صِدِيقَ الدَّفاتير... وَ الحِبر... وَ الكَلِماتِ الجَدِيدَة... / كُنْتَ تُعَلِّمُنَا كَيفَ نُلغِي المَسافَةَ / بَينَ الأَدِيبِ وَ بَينَ المُقاتِلِ... / كُنْتَ تُعَلِّمُنَا يا صِدِيقِي / أَنَّ المُسَدَّسَ لا يَسْتَطِيعُ اغتِيالَ البَلابِلِ» (نفسه، ص ٢٠٤ و ٢٠٥)

١٣- التكرار:

من أحد خصوصيات المكتب الواقعي، التكرار بشكل تقوم القصيدة على فكرة التدوير و التكرار حيث يعاود الشاعر في بداية كل مقطع تكرار جملة ثم يضيف إليها رؤية جديدة متصلة بموضوع القصيدة دون الخروج عن فكرتها الأساسية و هكذا نزار في كل أشعاره السياسية:

«نَتَظِرُّ القَطارَ / نَتَظِرُّ المُسافِرَ الخَفِيِّ كالأَقدارَ / يَخْرُجُ مِنَ عَباةِ السِنينِ / يَخْرُجُ مِنَ بَدْرِ... / مِنَ اليَرْمُوكِ... / مِنَ حِطِّينِ... / يَخْرُجُ مِنَ سَيفِ صَلاَحِ الدِّينِ» (نفسه، ص ٢٨١)

كذلك الأمر في نفس القصيدة:

«مِنَ سَنةِ العِشرينِ / وَ نَحْنُ كالأَدجاجِ في أَفْصانِنا / نَظَرُ في بَلاهة... / إلى خُطوطِ سَكَّةِ الحَديدِ / أَفقِيَّةَ حَيائِنَا / مِثْلَ خُطوطِ سَكَّةِ الحَديدِ... / ضَيِّقَةَ أَيامُنَا / مِثْلَ خُطوطِ سَكَّةِ الحَديدِ...» (نفسه، ص ٢٣٨)

و كذلك يبدأ كل قسم من هذه القصيدة بعبارة « ننتظر القطار» ثم نرى في نفس القصيدة:

«انْتَبَهُوا... / انْتَبَهُوا... / خَمسينَ يَوماً - رَبَّما - تَأخَّرَ القَطارُ... / خَمسينَ عَاماً - رَبَّما - تَأخَّرَ القَطارُ... / خَمسينَ قَرنًا - رَبَّما - تَأخَّرَ القَطارُ...» (نفسه، ص ٢٨٥)

كذلك التكرار في عبارة «هاجرت من»:

«هاجرتُ مِنَ صَوْتِي / وَ مِنَ كِتابِي... / هاجرتُ مِنَ ولادَتِي... / هاجرتُ مِنَ مَدائِنِ المِلحِ / وَ مِنَ قَصابِدِ الفَخَّارِ» (نفسه، ص ٣٠٤)

و كذلك التكرار في عبارة « يئست من » في القسم الرابع من القصيدة (نفسه، ص ٣٠٨) و « وهاهنا » في نفس القصيدة. (نفسه، ص ٣١١)

نرى تكرار الأساليب أيضاً في شعر نزار بدل العبارات مثل تكرار أسلوب النداء في القسم الثالث قصيدة "حوار مع ملك المغول" و كذلك التكرار صيغة الجملة مع تبديل الكلمات:

«إِذَا كُنَّا سَنَرُقُصُ دُونَ سَيِّقَانٍ... كَعَادَتِنَا / وَ نَحْطُبُ دُونَ أَسْنَانٍ... / كَعَادَتِنَا / وَ نُؤْمِنُ دُونَ إِيْمَانٍ... / كَعَادَتِنَا» (نفسه، ص ٣٤٦)

و تكرار « السيد نام» في قصيدة " الهرم الرابع":

« السَّيِّدُ نَامٍ... / السَّيِّدُ نَامٍ... / السَّيِّدُ نَامٍ كَنُومِ السَّيْفِ العَائِدِ مِنْ إِحْدَى العَزَوَاتِ / السَّيِّدُ يَرْقُدُ مِثْلَ الطِّفْلِ العَافِي فِي حِضْنِ العَابَاتِ / السَّيِّدُ نَامٍ... » (نفسه، ص ٣٦٧)

و يتكرر الأساليب و الكلمات معاً في " رسالة إلى جمال عبدالناصر":

«و عِنْدَمَا يَسْأَلُنَا أَوْلَادُنَا / مَنْ أَنْتُمْ؟ / فِي أَيِّ عَصْرِ عِشْتُمْ؟ / فِي عَصْرِ أَيِّ مُلْهَمٍ؟ / فِي عَصْرِ أَيِّ سَاحِرٍ؟ / نُجِيبُهُمْ: فِي عَصْرِ عَبْدِالنَّاصِرِ» (نفسه، ص ٣٨٠)

و هناك تدوير و تكرار في "ملاحظات في زمن الحب و الحرب":

«الْأَحْظَتِ شَيْئاً / الْأَحْظَتِ أَنْ العَلَاقَةَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ فِي زَمَنِ الحَرْبِ / تَأْخُذُ شَكْلًا جَدِيداً / وَ تَدْخُلُ طَوْرًا جَدِيداً... / وَ أَنْكَ أَصْبَحْتَ أَجْمَلَ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ مَضَى... / وَ أَنِّي أَحْبَبْتُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ مَضَى... / الْأَحْظَتِ كَيْفَ احْتَرَقْنَا جِدَارَ الزَّمَنِ؟ /... / الْأَحْظَتِ... كَيْفَ انْدَفَعْتُ إِلَيْكَ... / كَأَنِّي أَرَاكَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ / الْأَحْظَتِ كَيْفَ انْسَجَمْنَا... / وَ كَيْفَ لَهْتْنَا... / وَ كَيْفَ عَرَقْنَا... / وَ كَيْفَ اسْتَحَلْنَا رِمَاداً... / وَ كَيْفَ بُعِثْنَا... / كَأَنَّا نُمَارِسُ فِعْلَ العَرَامِ / لِأَوَّلِ مَرَّةٍ» (نفسه، صص ٤٤٩-٤٤٧)

كذلك الأمر في قصيدته " الممثلون " التي ينقد فيها حكّام العرب الخمولين نقداً لاذعاً:

«مَتَى سَتَرَ حُلُونُ / المَسْرَحِ أَنهَارَ عَلَيَّ رُؤُوسِكُمْ / مَتَى سَتَرَ حُلُونُ؟ / وَ النَّاسُ فِي القَاعَةِ يَشْتُمُونَ... يَبْصِفُونَ... / كَأَنْتَ فِلِسْطِينُ لَكُمْ / دَجَا جَةِ، مِنْ بِيضِهَا التَّمِينِ تَأْكُلُونَ... / كَأَنْتَ فِلِسْطِينُ لَكُمْ / قَمِيصَ عُثْمَانَ الَّذِي بِهِ تُتَاجِرُونَ / طُوبَى لَكُمْ... / عَلَيَّ يَدَيْكُمْ أَصْبَحْتَ حُدُودُنَا / مِنْ وَرَقٍ... / فَأَلْفَ تُشْكِرُونَ... / عَلَيَّ يَدَيْكُمْ أَصْبَحْتَ بِلَادُنَا / امْرَأَةٌ مُبَا حَةَ... / فَأَلْفَ تُشْكِرُونَ...» (نفسه، صص ١١٠ و ١١١)

فهناك تكرار جملة « من قتل الإمام » و تكرار « ون » الجمع و تكرار جملة « كما قيل

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي/93

لكم يا سادتي الكرام» و تكرار « الشام » و كذلك « سادتي الكرام » بشكل ملحوظ في قصيدة "الاستجواب" (نفسه، صص ١٢٣ و ١٣٠)

كذلك التكرار الذي يخرج الشعر من حالته القويمية في:

«مِن رُبْعِ قَرْنٍ وَ أَنَا... / أَمَارِسُ الرُّكُوعَ وَ السُّجُودَ / أَمَارِسُ القِيَامَ وَ القُّعُودَ / أَمَارِسُ التَّشخيصَ
خَلْفَ حَضْرَةِ الإِمَامِ / يَقُولُ: اللّهُمَّ امحِقْ دَوْلَةَ اليَهُودِ / أَقُولُ: اللّهُمَّ امحِقْ دَوْلَةَ اليَهُودِ / يَقُولُ:
اللّهُمَّ شَتَّتْ شَمَلَهُمْ / أَقُولُ: اللّهُمَّ شَتَّتْ شَمَلَهُمْ / يَقُولُ: اللّهُمَّ اقْطَعْ نَسْلَهُمْ / أَقُولُ: اللّهُمَّ اقْطَعْ
نَسْلَهُمْ / يَقُولُ: أَغْرِقْ حَرْتَهُمْ وَ زَرَعَهُمْ / أَقُولُ: أَغْرِقْ حَرْتَهُمْ وَ زَرَعَهُمْ / وَ هَكَذَا يَا سَادَتِي
الكَرَامَ / قَضَيْتُ عِشْرِينَ سَنَةً» (نفسه، صص ١٣١ و ١٣٢)

و نكتفي بهذا القدر من شواهد التكرار التي تكثر في شعر نزار و الذي يريد المزيد عليه الرجوع إلى قصائد " فتح - جريمة شرف في المحاكم العربيّة - سبع رسائل ضائعة في بريد بيروت " التي تظهر هذه الميزة فيها بشكل جدير بالالتفات.

١٤- استغلال التراث و استدعاء الشخصيات التاريخية:

قد قلنا سابقاً بأنه من ميزات الواقعيّ تضمين قصص التراث العربيّة القديمة أو الإشارة إليها من العبارات التي أصبحت مألوفة في الشعر الحرّ في مراحلهِ الأخيرة و استدعاء بعض الشخصيات التاريخية العربيّة على إقامة حوار تاريخي معهم حول أوضاع الحاضر و طغيان الشخصيات التاريخية العربيّة على سائر الأبطال و الشخصيات ثمّ الاهتمام بالرمز و الصور و الأساطير مع السلامة من الغموض و الانغزال عن القارئ:

«أبَا تَمَامٌ... أَيْنَ تَكُونُ... أَيْنَ حَدِيثُكَ العَطْرُ؟ / وَ أَيْنَ يَدُ مُعَامِرَةَ تُسَافِرُ فِي مَجَاهِيلِ وَ تَبْتَكِرُ...؟ / أبا تَمَامٌ... / أرملةُ قَصَائِدِنَا... وَ أرملةُ كِتَابَتِنَا... / أبا تَمَامٌ ذَارَ الشَّعْرَ دَوْرَتِهِ / وَ ثَارَ اللَّفْظِ... وَ القَامُوسِ... / أبا تَمَامٌ: لَا تَقْرَأْ قَصَائِدِنَا / فَكُلُّ قُصُورِنَا وَرَقٌ... / أبا تَمَامٌ: إِنَّ الشَّعْرَ فِي أَعْمَاقِهِ سَفَرٌ / وَ إِبْحَارٌ إِلَى الآتِي... وَ كَشْفٌ لَيْسَ يُنْتَظَرُ... / أميرَ الحَرْفِ... / سَامِحِنَا / فَقد حُنَا جَمِيعاً مِهْنَةَ الحَرْفِ... / أبا تَمَامٌ... إِنَّ النَّارَ تَأْكُلُنَا... / وَ نَقَعْدُ فِي بُيُوتِ اللَّهِ نَنْتَظِرُ / بَأَن يَأْتِي الإِمَامُ عَلَيْنَا... / أَوْ يَأْتِي لَنَا عَمْرٌ / وَ لَن يَأْتُوا... وَ لَن يَأْتُوا... / أبا تَمَامٌ: إِنَّ النَّاسَ بِالكَلِمَاتِ قَدْ كَفَرُوا» (نفسه، صص ٣٤٨ و ٣٥٢)

ثمّ يشير إلى قتل أولياء الله و يشبهه موت عبدالناصر بذلك:

«قَتَلْنَاكَ/ لَيْسَ جَدِيداً عَلَيْنَا/ اغْتِيَالُ الصَّخَابَةِ وَ الْأَوْلِيَاءِ/ فَكَمْ مِنْ رَسُولٍ قَتَلْنَا... / وَ كَمْ مِنْ إِمَامٍ ذُبِحْنَا وَ هُوَ يُصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ.../ فَتَارِيخُنَا كُلُّهُ مِحْنَةٌ... / وَ أَيَّامُنَا كُلُّهَا كَرْبَلَاءٌ...» (نفسه، ص ٢٥٥)

حيث يشير إلى اغتيال الرسل ثم اغتيال أبي بكر صحابه الرسول في حال صلاته صلاة العشاء ثم يشير إلى كارثة كربلاء و يقول بأن خيانة العرب و موت جمال عبدالناصر من هذا النوع ثم يشير في قصيدة أخرى إلى الشخصيات الأدبية العربية:

«كُلُّ غَامٍ نَأْتِي لِسُوقِ عَكَاظٍ/ وَ عَلَيْنَا الْعَمَائِمُ الْخَضْرَاءُ... / كُلُّ غَامٍ نَأْتِي... فِيهِذَا جَرِيرٌ/ يَتَغَنَّى وَ هَذِهِ الْخَنَسَاءُ... / سَقَطَتْ فِي الْوُحُولِ كُلُّ الْفَصَاحَاتِ/ وَ مَاتَ الْخَلِيلُ وَ الْفِرَاءُ... / يَا غُصُورَ الْمُعَلَّقَاتِ مَلَّنَا... / الْمَقَامَاتُ لَعِبَةٌ... وَ الْخَرِيرِي / حَشِيشٌ وَ الْغُولُ... وَ الْعَنْقَاءُ» (نفسه، صص ٣٩٩-٣٩٣)

ثم في قصيدة "من مفكرة عاشق دمشق" يذكر أسماء القبائل والشخصيات القديمة:

«يَا شَامُ... أَيْنَ هُمَا عَيْنَا مُعَا وَيَّةَ / وَ أَيْنَ مَنْ زَحَمُوا بِالْمَنْكَبِ الشُّهْبَا / فَلَا خِيُولَ بَيْنِي حَمْدَانَ رَاقِصَةَ / زَهْوًا وَ لَا الْمُتَنَبِّيَ مَالِيءُ حَلْبَا / وَ قَبْرُ خَالِدٍ فِي حِمَصٍ نَلَامِسُهُ / فَيَرْتَجِفُ الْقَبْرُ مِنْ زُؤَارِهِ غَضَبًا» (نفسه، ص ٤٢٠)

ثم يستدعي صلاح الدين الأيوبي و يشكو عليه التمرّد الصهيووني على الوطن العربي:

«سَرَقُوا مِنَّا الزَّمَانَ الْعَرَبِيَّ / سَرَقُوا فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ مِنْ بَيْتِ النَّبِيِّ / يَا صَلاَحَ الدِّينِ / بَاعُوا النُّسَخَةَ الْأُولَى مِنَ الْقُرْآنِ / بَاعُوا الْحُزْنَ فِي عَيْنِي عَلَيَّ / كَشَفُوا فِي أَحَدٍ ظَهَرَ رَسُولَ اللَّهِ / بَاعُوا الْأَنْهَرَ السَّبْعَةَ فِي الشَّامِ / وَ بَاعُوا الْيَاسَمِينَ الْأُمَوِيَّ... / عَزَلُوا خَالِدًا فِي أَعْقَابِ فَتَحِ الشَّامِ / سَمُوهُ سَفِيرًا فِي جَنيفٍ... / سَرَقُوا مِنْ طَارِقٍ مِعْطَفِهِ الْأَنْدَلُسِيَّ / أَخَذُوا مِنْهُ النَّيَاشِينَ أَقَالُوهُ مِنَ الْجَيْشِ» (نفسه، صص ٤٨٧ و ٤٨٩)

حيث يشير إلى فاطمة الزهراء (س) و النبي (ع) و صلاح الدين الأيوبي فاتح الحروب الصليبية و يستدعيه ثم يشير إلى القرآن و علي (ع) و إلى غزوة أحد ثم يشير إلى خالد بن الوليد الفاتح الإسلامي في صدر الإسلام ثم طارق فاتح الأندلس في العصر العباسي و كل هذا على شاكلة الرمز ولكنه ليس غامضاً و هكذا يواصل هذا العمل:

«يَا صَلاَحَ الدِّينِ... / هَذَا زَمَنُ الرَّدَّةِ / وَ الْمَدَّةُ الشُّعُوبِيَّةُ الْقَوِيَّ / أَحْرَقُوا بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ... / وَ أَلْقُوا الْقَبْضَ فِي اللَّيْلِ عَلَى آلِ النَّبِيِّ / فَشَرِيفَاتُ قُرَيْشٍ / صِيرْنَ يَغْسِلْنَ صُحُونَ الْأَجْنَبِيِّ / يَا صَلاَحَ الدِّينِ... / مَاذَا تَنْفَعُ الْكَلِمَةَ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْبَاطِنِيِّ / وَ لِمَاذَا نَكْتُبُ الشِّعْرَ... وَ قَدْ

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي /95

نسى الله الكلامَ العربيّ ؟ « (نفسه، صص ٤٩٧ و ٤٩٨)

و هكذا عمله في " منشورات فدائية على جدران إسرائيل":

«لا تسكروا بالنصر / إذا قتلتم خالداً / فسوف يأتي غمرو /... / من خلف كل منبر مكشور /
سيخرج الحجاج ذات ليلة ... / يخرج المنصور... /... / رجالنا يأتون دون موعد / في غضب
الرعدي... و زخات المطر / يأتون في عبادة الرسول... / أو سيف غمر... /... / باقون في شعر امرئ
القيس و في شعر أبي تمام » (نفسه، صص ١٨٢-١٦٩)

ثم يشير إلى الأسطورة التي لم تأت بعد مثل الدجال اليهودي:

«سوف يموت الأعور الدجال / سوف يموت الأعور الدجال » (نفسه، ص ١٨٦)

أما في قصيدة حوار مع أعرابي أضاء فرسه يقول:

«نأتم على هجو جرير... / و نفيق على دمع الخنساء /... / نترقب عترة العبي... /... / نقرأ
معروف الإسكافي /... / و نقرأ أخبار الندماء / و نكات جحا... / و رجوع شيخ / و قصة
داحس و الغبراء » (نفسه، صص ٢١٩-٢١٧)

كذلك يعتمد على الشخصيات التاريخية المستمدة من التراث و يقول:

«ما زال يكتب شعرة العذري قيس / و اليهود تسربوا لفراس ليلى العامرية » (نفسه، ص ٢٣)

ثم يستفيد من شعراء قدماء و يرمز منهم:

«هربت من عمرو بن كلثوم / و من رائية الفرزدق الطويله /... / و من قفا نبيك... / و
من عبادة الأحجار... / حاوت أن أفك عن طراودة حصارها » (نفسه، صص ٣٠٥-٣٠٤)

١٥- أمله إلى المستقبل:

جوهرية رسالة الأديب و إيجابيتها و هي الاتجاه مع المجتمع لبناء مستقبل أفضل
للجماهير ثم إن الأدباء هم مهندسو النفس البشرية و لذلك لا بُد لهم من رؤية
مستقبلية و اضحة لما يجب أن يكون. لذلك يأتي تفاؤل هذا الأدب الذي تؤمن
بانتصار الإرادة الجماهيرية التي تتجه دوماً في طريق الخير و الحق و تتمكن من
إعادة بناء المجتمع الجديد نهائياً و هذا مع تشاؤمه من الوضع الحالي المأساوي للمجتمع و
هكذا كان نزار في أشعاره السياسية:

«و أصرخ: يا أرض الخرافات... إحبلي / لعل مسيحاً ثانياً... سوف يظهر... » (نفسه، ص ٣٩٠)

يقول في قصيدة أخرى كلاماً يشعر بالأمل إلى المستقبل:

«لا تَسْكُرُوا بِالنَّصْرِ / إِذَا قَتَلْتُمْ خَالِدًا / فَسَوْفَ يَأْتِي عَمْرُو / وَإِنْ سَحَقْتُمْ وَرْدَةَ / فَسَوْفَ
يَبْقَى الْعَطْرُ...» (نفسه، ص ١٦٩)

فكذلك في نفس القصيدة يأتي بكلمة (لن) التي تدلّ على الاستقبال:
«لَنْ تُفْلِتُوا... / لَنْ تُفْلِتُوا... / فَكُلُّ بَيْتٍ فِيهِ بُنْدُ قِيَّةٍ / مِنْ ضِفَّةِ الْبَيْتِ إِلَى الْفُرَاتِ / لَنْ
تَسْتَرِيحُوا مَعَنَا... / كُلُّ قَتِيلٍ عِنْدَنَا / يَمُوتُ أَلْفًا مِنَ الْمَرَاتِ...» (نفسه، ص ١٧٤)

ثم يتهدّد بنصر العرب القادم و شدة قسوتهم في الثأر:
«لِمَنْ قَتَلْتُمْ فِي فِلِسْطِينَ صِغَارًا سَوْفَ يَكْبُرُونَ / لِلأَرْضِ... لِلْحَارَاتِ... لِلأَبْوَابِ... أولادٌ
سَيَكْبُرُونَ / وَ هُوَ لَأَيُّ كَلْبِهِمْ... تَجَمَعُوا مِنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً /... / وَ هُوَ لَأَيُّ كَلْبِهِمْ... / فِي أَيُّ... أَيُّ
لِحْظَةٍ / مِنْ كُلِّ أَبْوَابِ فِلِسْطِينَ سَيَدْخُلُونَ /... / سَوْفَ يَمُوتُ الْأَعْوَرُ الدَّجَالُ / وَ نَحْنُ بَأَقْوَنَ
هُنَا» (نفسه، ص ١٨٤ و ١٨٦)

ثم يشتدّ أمله هذا في قصيدته الملغمة "هوامش على دفتر النكسة":
«يَا أَيُّهَا الْأَطْفَالُ: / مِنَ الْمُحِيطِ لِلْخَلِيجِ أَنْتُمْ سَنَابِلُ الْأَمَالِ / وَأَنْتُمْ الْجَيْلُ الَّذِي سَيَكْسِرُ
الْأَغْلَالَ... / يَا أَيُّهَا الْأَطْفَالُ / يَا مَطَرَ الرَّبِيعِ يَا سَنَابِلَ الْأَمَالِ / أَنْتُمْ بُدُورُ الْخِصْبِ فِي حَيَاتِنَا الْعَقِيمَةِ /
وَ أَنْتُمْ الْجَيْلُ الَّذِي سَيَهْزِمُ الْهَزِيمَةَ». (نفسه، ص ٩٦ و ٩٨)

١٦- الموسيقى الداخلية و تحويل القصيدة من وحدة الوزن إلى دفقة

شعورية:

قد تكلمنا عن العلاقة بين الواقعية و شعر الحرّ فنبسط الكلام من الآن فصاعداً
عن الميزات المشتركة بين هذين الحركتين فنبدأ بالموسيقى الداخلية للقصيدة
في شعر نزار السياسي و نأتى بنماذج من شعره تدلّ على هذا الموضوع مع علمنا بأن أكثر شعر
نزار الذي أوردناه سابقاً أم لم نورده يمكن أن يكون مثلاً لهذا القسم و ما بعده فلذلك كلّمنا
نقول و نذكر من الأشعار على سبيل التمثيل فحسب أمّا عند نزار فهو يعتمد على موسيقى
القصيدة الداخلية و يقسم القصيدة إلى مقاطع شعريّة يمثّل كلّ واحدٍ منها دفقة
شعورية تبدأ و تنتهي حسب متطلّبات المعنى و تحويل موسيقى القصيدة من عمود الشعر
و وحدة الوزن إلى وحدة نغمة موسيقيّة موقّعة تتكرّر حسب الدفقة
الشعورية و الجو النفسى طولاً و قصرأ و تسمّى التفعيلة:

«يَا قُدْسُ يَا مَنَارَةَ الشَّرَائِعِ / يَا طِفْلَةَ جَمِيلَةَ مَحْرُوقَةَ الْأَصَابِعِ / حَزِينَةَ عَيْنَاكِ يَا

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي /97

مَدِينَةَ البُتُولِ /... / يَا قُدْسُ يَا مَدِينَةَ الأَحْزَانِ / يَا دَمْعَةَ كَبِيرَةَ تَجُولُ فِي الأَجْفَانِ / مَنْ يُوقِفُ
العُدوان؟» (نفسه، صص ١٦٢ و ١٦٣)

ثم نرى موسيقى ناتجة من تكرار ضمير (نا):
«أَتَيْنَا إِلَيْكَ بِعَاهَاتِنَا / وَ أَحْقَادِنَا... وَ انْجِرَافَاتِنَا / إِلَى أَنْ ذَبَحْنَاكَ ذَبْحًا / بِسَيْفِ أَسَانَا / فَلَيْتَكَ
فِي أَرْضِنَا مَا ظَهَرَتْ... / وَ لَيْتَكَ كُنْتَ نَبِيَّ سَوَانَا...» (نفسه، ص ٣٦١)
ثم نرى الموسيقية الداخلية في قصيدة "الكلمات بين أسنان رجال المخابرات" حيث يكرر
الأسلوب الخبري بفعل ماضٍ و الإتيان بجملته حالية بعدها فيقول:
«حَاوَلُوا أَنْ يُمَسِّكُونِي / وَ أَنَا أُرَهْنُ فِي السُّوقِ السِّيَاسِي ثِيَابِي / حَاوَلُوا أَنْ يَضْبُطُونِي / وَ أَنَا
أُقْبِضُ أَتْعَابِي عَلَى بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ كَتَبْتُهُ... / لَمْ أَكُنْ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ طَبَّالًا / وَ لَا زَوَّرتُ شِعْرِي وَ
شُعُورِي» (نقلًا عن: تاج الدين، ص ١٦١)

١٧- الوحدة العضوية و الوحدة الموضوعية :

من ميزات الواقعية، الوحدة العضوية بحيث صارت القصيدة عندهم بنية
حيّة متألّفة من مقاطع أو جزئيات تعبر عن موقف نفسى واحد و يتحد المضمون مع
الشكل بكلّ عناصره بحيث لا يكون هنالك أى توتر بينهما و هكذا أشعار نزار كما فى قصيدته
" مرسوم بإقالة خالد بن الوليد" حيث يبدأ كل مقطع بعبارة « سرقوا منّا الزمان العربى » أو « يا
صلاح الدين » حتى نهاية القصيدة و فى المقطع الخامس مثلاً نرى يبدأ بـ « يا صلاح
الدين »:

« يَا صَلاَحَ الدِّينِ... / هَلْ تَسْمَعُ تَعْلِيْقَ الإِذَاعَاتِ؟ / وَ هَلْ تُصْغِي إِلَى هَذَا البُعَاءِ العَلَنِى / أَكَلُوا
الطَّعَامَ... وَ بَالُوا / فَوْقَ وَجْهِ العَنْفُوَانِ العَرَبِي / مَا الَّذِي يَجْرِي عَلَى المَسْرَحِ؟ / مَنْ يَجْذِبُ خَيْطَانَ
السِّتَارِ المَحْمَلِي؟ / مَنْ هُوَ الكَاتِبُ؟ لَا نَدْرِي / مَنْ المُخْرَجُ؟ لَا نَدْرِي / وَ لَا الجُمهُورُ يَدْرِي... يَا
بُنِي... / يَا صَلاَحَ الدِّينِ... / مَاذَا تَنْفَعُ الكَلِمَةُ فِي هَذَا الزَّمَانِ البَاطِنِي / وَ لِمَاذَا نَكْتَبُ الشِّعْرَ... وَ
قَدْ نَسَى اللهُ الكَلَامَ العَرَبِي؟» (قباني، الأعمال السياسية الكاملة، صص ٤٩٧ و ٤٩٨)

كما نرى الوحدة العضوية فى هذه القصيدة نرى الوحدة الموضوعية فيها
حيث لا يتكلم الشاعر فى هذه القصيدة إلا عن موضوع واحد يتكون من عدة تفاصيل كما فى
قصيدته " طريق واحد":

«أَصْبَحَ عِنْدِي الآنَ بِنْدُوقِيهِ / إِلَى فِلِسْطِينِ خُدُونِي مَعَكُمْ / يَا أَيُّهَا الرِّجَالُ / أريدُ أَنْ أُعِيشَ أَوْ

أُمُوتَ كَالرِّجَالِ / أُرِيدُ أَنْ أُنَبِّتَ فِي ثُرَابِهَا... زَيْتُونَهُ أَوْ حَقْلَ بُرْتُقَالِ / أَوْ زَهْرَةَ شَذِيهِ... / قُولُوا
لِمَنْ يَسْأَلُ عَن قَضِيَّتِي... / بَارُودَتِي صَارَتْ هِيَ الْقَضِيَّةُ... /... / أَصْحَ عِنْدِي الْآنَ بُنْدُوقِيهِ / أَصْبَحْتُ
فِي قَائِمَةِ الثُّورِ / أَفْتَرَشُ الْأَشْوَاكَ وَالْغُبَارَ / وَ الْبَسُّ الْمَنِيَّةُ... / مَشِيئَةُ الْأَقْدَارِ لَا تَرُدُّنِي / أَنَا
الَّذِي أَعْيَّرُ الْأَقْدَارَ « (نفسه، ص ٣٢٩)

و هكذا يتلاحم الشكل و المضمون بأن يكون الشكل الفني تابعاً للمضمون و خادماً له و بمقدار ما تتوافر هذه الخصائص الفنية في النص الواقعي ، يرقى و يرتفع.

١٨- التحرر من أسر القافية :

كذلك كان الأدب الواقعي حيث تحرر من قيود القافية و الإتيان به حيث يتطلبها المعنى و ترك تكرار تلك القاعدة الرتيبة التي تجعل دائماً الشاعر في مضيق:
«الْأَحْظَتِ كَيْفَ اكْتَشَفْنَا طُفُولَتَنَا / بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ؟ / وَ كَيْفَ رَجَعْنَا أُخِيرًا لِمَمْلِكَةِ الْعِشْقِ
وَ الْعَاشِقِينَ / أَحْسَسْتِ مِثْلِي... بِأَنَّ رُجَالَ الْمَظَلَّاتِ كَانُوا / يَحْطُونَ مِثْلَ الْحَمَامِ عَلَى رَاحَتَيْنَا / وَ
أَنَّ جُنُودَ الْمَعَاوِيرِ كَانُوا يَمْرُونَ فَوْقَ عُرُوقِ يَدَيْنَا... / الْأَحْظَتِ كَيْفَ نَتَرْنَا عَلَيْهِمْ / عُقُودَ الْبَنْفَسِجِ
وَ الْيَاسْمِينِ؟ / وَ كَيْفَ رَكَّضْنَا إِلَيْهِمْ / وَ كَيْفَ انْحَنَيْنَا / أَمَامَ بِنَادِيهِمْ خَاشِعِينَ» (نفسه، صص ٤٥٢ و ٤٥٣)
حيث ترك قواعد علم القافية القديم و اختار شكلاً جديداً منها حيث نرى
القافية تتحدد في «سنين - العاشقين - الياسمين - خاشعين» ثم اتحاد في
القافية بين « طفولتنا - راحتنا - يدنا - انحنينا» أي قافيتين في مقطع واحد من
القصيدة ثم ليس هناك ترتيب في الإتيان بالقوافي بل نراها حيث يتطلبها المعنى. ثم نرى نفس
الطريق في قصيدته "القدس":

«يَا قُدْسُ... يَا مَدِينَتِي / يَا قُدْسُ... يَا حَبِيبَتِي / غَدًا... غَدًا... سَيَزْهَرُ الْيَمُونُ / وَ تَفْرُحُ السَّنَابِلُ
الْخَضْرَاءُ وَ الْغُصُونُ / وَ تَضْحَكُ الْعُيُونُ / وَ تَرْجِعُ الْحَمَائِمُ الْمُهَاجِرَةَ / إِلَى السُّقُوفِ الطَّاهِرَةِ / وَ
يَرْجِعُ الْأَطْفَالُ يَلْعَبُونَ / وَ يَلْتَقِي الْأَبَاءُ وَ الْبُنُونَ / عَلَى رُبَاكِ الزَّاهِرَةِ... / يَا بَلَدِي... يَا بَلَدَ السَّلَامِ وَ
الزَّيْتُونِ...» (نفسه، ص ١٦٤)

حيث نرى القافية المشتركة بين «مدينتي و حبيبتي» و الليمون - الغصون
- العيون - يلعبون - البنون - الزيتون « ثم بين «المهاجرة - الطاهره - الزاهره» و كل هذا في
مقطع واحد من القصيدة فما بالك بالنسبة إلى كل القصيدة ، لكي يتضح الأمر بشكل أحسن
نرى بنموذج آخر:

سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي/99

«لَنْ تَجْعَلُوا مِن شَعْبِنَا / شَعْبَ هُنُودِ حُمُرٍ / فَنَحْنُ بَأَقْوَنَ هُنَا... / فِي هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي تَلْبَسُ فِي مِعْصَمِهَا / أَسْوَارَةَ مِن زَهْرٍ... / فَهَذِهِ بِلَادُنَا / فِيهَا وَجِدْنَا مُنْذُ فَجْرِ الْعُمَرِ / فِيهَا لَعْبِنَا... وَ عَشَقْنَا... / وَ كَتَبْنَا الشِّعْرَ...» (نفسه، صص ١٦٧ و ١٦٨)

حيث نرى القافية المشتركة بين «شعبنا - هنا - معصمها - بلادنا - عشقنا» ثم بين «حمر - زهر - عُمر - الشعر».

١٩- عدم تساوى الشطرين في عدد التفاعيل :

عدم تساوى الشطرين في عدد التفاعيل و عدم التقيّد بالإتيان بعدد معين من التفاعيل في البيت أو السطر الشعري ثم ترك عمود الشعر العربي و جعل البيت الشعري ذى الشطرين المتساويين جانباً و الاعتماد على السطر الشعري و على التفعيلة بشكلٍ أخص، كل هذا من سمات الأدب الواقعي أما بالنسبة إلى شعر نزار يمكن أن يكون كل شواهد ذكرناها حتى الآن مثلاً لهذا القسم ولكن لمزيد من البحث نورد عدة نماذج أخرى من شعره السياسي تؤكد هذا الجانب من شعره:

«قُومِي مِن نَوْمِكَ... / يَا سُلْطَانَةَ ، يَا نَوَارَةَ ، يَا قِنْدِيلًا ، مُشْتَعِلًا فِي الْقَلْبِ / قُومِي كَي يَبْقَى الْعَالَمُ يَا بَيْرُوتُ / وَ نَبْقَى نَحْنُ... / وَ يَبْقَى الْحَبُّ... / قُومِي... يَا أَحْلَى لُؤْلُؤَةَ أَهْدَاهَا الْبَحْرُ / الْآنَ عَرَفْنَا مَا مَعْنَى... / أَنْ نَقْتُلَ غَصْفُورًا فِي الْفَجْرِ» (نفسه، ص ٥٨٣)

حيث نرى السطر الأول قصيراً ثم الثاني طويلاً ثم الثالث متوسطاً ثم الرابع و الخامس قصيراً كما في:

«سَامِحِينَا... / إِنْ تَرَكْنَاكَ تَمُوتِينَ وَحِيدَةً... / وَ تَسَلَّلْنَا إِلَى خَارِجِ الْعُرْفَةِ نَبْكِي كَجُنُودِ هَارِبِينَ / سَامِحِينَا... / إِنْ رَأَيْنَا دَمَكِ الْوَرْدِي يَنْسَابُ كَأَنْهَارِ الْعَقِيقِ / وَ تَفَرَّجْنَا عَنِ فِعْلِ الزَّنَا... / وَ بَقِينَا سَاكِنِينَ...» (نفسه، ص ٦١١)

حيث الصورة أغنى أن نتلفظ بشيء:

و هكذا نرى تلاحم الشكل و المضمون بأن يكون الشكل الفني تابعاً للمضمون و نرى تجديداً في مستويين الشكل و المضمون ثم رأينا اللغة المأنوسة الواضحة البعيدة عن التوتّر و التكلف من جهة و عن الإسفاف و الابتذال من جهة أخرى (لغة البساطة المستحيلة) و اختيار اللغة السهلة المتداولة التي لا تقيم لأدب يؤدي الأهداف

دون حسن مرهف و أداء فني فالمضمون و الشكل متضامنان لا ينفصل أحدهما عن الآخر ثم براعته في الوصف و التصوير على المستويين الداخلي والخارجي و نقل القارئ إلى عوالم جذابة ممتعة مثيرة للدهشة و حب الإطلاع.

أما عن إنسانية الأدب و عالميته التي تؤمن بوحدة قضايا الشعوب و وحدة نضالها في سبيل التحرر الاجتماعي و السياسي و رفض أشكال الاستعمار و الاستغلال و الفردية و التمييز العنصري والديني فقد نكتفي بقوله و اعترافه نثرأ يقول: « إنني لا أنكر أن الإنسانية كلها تعاني أزمة مصير و أن جيلنا هو جيل الغبار الذري والهواء الملوث و العُقد الفرويدية المميته و الجيل المصلوب بلاصليب ، المشوه من داخله منذ ولادته. إنني أعرف هذا ولكنني أعرف أيضاً أن للإنسان العربي أزماته الخاصة و أزمات و اقعية تتصل بالرغيف و بالداء و بالعلم و بسرطان إسرائيل أكثر مما تتصل بالمجردات الفلسفية التي لا تلتفت إليها الشعوب إلا و هي في قمة شعبها و بطرها الفكرى » (قباني، الأعمال النثرية الكاملة، صص ٥٣ و ٥٤)

حصاد البحث:

بعد بحثنا هذا عن شعر نزار السياسي من منظار الأدب الواقعي استنتجت هذه النتائج: نزار ما كان دائماً سجيناً في مقاصير النساء و أسيراً في براثن شعر المرأة بل اهتم بهموم المجتمع العربي و قضاياها.

شعر نزار السياسي شعر واقعي يمثل بوضوح سمات هذا المكتب الأدبي. تأثر نزار بالمسار الشعري بعد الحرب العالمية الثانية و أثر فيه.

المراجع:

- ١- تاج الدين، أحمد، نزار قباني و الشعر السياسي، الطبعة الاولى، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ، ٢٠٠١م.
- ٢- قباني، نزار، الأعمال السياسية الكاملة، الطبعة الرابعة، منشورات نزار قباني، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٣- _____، ج١، منشورات نزار قباني، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٤- _____، ج٢، منشورات نزار قباني، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٥- _____، ج٧، منشورات نزار قباني، بيروت، ١٩٩٧م.